IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
مجلة جامعة الكوت للعلوم الإنسانية
ISSN (E): 2707 – 5648 II ISSN (P): 2707 – 563x
www.kutcollegejournal1.alkutcollege.edu.iq
k.u.c.j.hum@alkutcollege.edu.iq
المجلد 6 ، العدد 1 ، حزيران 2025

حقيقة الشيطان في القرآن الكريم

م. م. كرار جبار حسوني [1] ، م. م. مشرق صباح كاظم [2]

انتساب الباحثين
[1] مديرية تربية واسط، العراق، واسط، 52001

[2] كلية الامام جعفر الصادق - فرع ذي قار، العراق، ذي قار، 64001

[1] alwoduy@gmail.com
[2]mushriqsabah1991@gmail.com

[1] المؤلف المراسل

معلومات البحث
تأريخ النشر: حزيران 2025

المستخلص
الشيطان هو أكبر عدو للإنسان وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتخذه عدوا ، وهو تجسيد لكل عمل او فعل منسوب إلى الشر ، بل وينظر الى الشيطان بأنه قوة مدمرة ومعادية للإنسان عامة وللمؤمن خاصة أن وجود الجن ثابت بطرق كثيرة غير دلالة الكتاب والسنة ، فإن من الناس من رآهم ، وفيهم من رأى من رآهم ، وثبت ذلك عنده باليقين والخبر ومن الناس من كلموه وكلمهم، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم: وهذا يكون للصالحين وغير الصالحين، لكن الاعتماد على الأجوبة العلمية يكون على ما يشترك الناس في علمه، لا يكون بما يختص بعلمه المجيب، إلا أن يكون الجواب لمن يصدقه بما يخبر به والجان المؤمنين ملزمون باعمال زائدة على التصديق ، ومنهيون عن أعمال غير التكذيب، فهم مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم، فإنهم ليسوا مماثلي الإنس في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساويا لما على الإنس في الحد، لكنهم مشاركو الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي، والتحليل والتحريم، وهذا مالم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين وكذلك لم يتنازعوا أن أهل الكفر والفسوق والعصيان منهم يستحقون لعذاب النار، كما يدخلها من الآدميين، لكن تنازعوا في أهل الإيمان منهم، فذهب الجمهور إلى أنهم يدخلون الجنة، ومنهم من قال: أنهم يكونون في ربض الجنة، يراهم الإنس من حيث لا يرونهم . وذهب قوم إلى أن المطيعين منهم يصيرون تراباً كالبهائم ، ويكون ثوابهم النجاة من النار.

الكلمات المفتاحية: الشيطان، الصد عن ذكر الله، المؤمنون

The Truth about Satan in the Holy Quran

Assis. Lec. Karar Jabbar Hassouni [1] , Assis. Lec. Mashreq Sabah Kazem [2]

Affiliations of Authors
[1] Wasit Education Directorate, Wasit, Iraq.
[2] Imam Jaafar Al-Sadiq College -Dhi Qar Branch, Iraq Dhi Qar, 64001

[1] alwoduy@gmail.com
[2]mushriqsabah1991@gmail.com

[1] **Corresponding Author**

Paper Info.
Published: Jun. 2025

Abstract
Almighty has commanded us to regard him as an enemy. He is the embodiment of every deed or deed attributed to evil. Satan is even seen as a destructive force that is hostile to mankind in general and to the believer in particular. The presence of the jinn is proven in many ways other than the evidence of the Qur'an and Sunnah. Whoever saw them, and among them were those who saw those who saw them, and that was proven to him with certainty and news, and from the people who spoke to him and he spoke to them, and from the people who commanded them and forbade them and disposed of them: and this applies to the righteous and not the righteous, but relying on scientific answers is on what people share in their knowledge, not on what His knowledge is limited to the one who answers, except that the answer is for the one who believes him in what he informs, and the believing jinn are obligated to perform deeds that are additional to the belief They are forbidden from actions other than disbelief. They are commanded to follow the principles and branches according to them. They are not similar to humans in terms of punishment and reality, so what they command and prohibit is not equal to what humans are required to do in terms of punishment. However, they share with humans in the type of obligation to command and prohibit, and permissibility and prohibition, and this is what I did not know about. There was a dispute between Muslims, and they did not dispute that the people of disbelief, immorality, and disobedience among them deserved the torment of Hell, just as humans enter it. However, they disagreed regarding the people of faith among them, so the majority held that they would enter Paradise, and among them were those who said: They would be in the outskirts of Paradise, and humans would see them from where they are not. They see them. Some people said that the obedient ones among them would become dust like animals, and their reward would be salvation from the Fire.

Keywords: Satan, Preventing believers from remembering God, Believers

المقدمة

ان هذا الموضوع الذي بين أيدينا يتحدث عن الشيطان وحقيقة في القرآن الكريم، كما أنــه يستعرض الشواهد القرآنية لمعرفة حقيقته في القرآن الكريم في العشرات من الآيات المباركات.

جهلنا بالشيء لا يدل على عدم وجوده. فمن هم؟

انهم جزء من عالم الغيب لأننا لا نراهم.

ومن يملك إمكانية أخبارنا عنهم بشكل يقيني؟

لا أحد، الا من يستطيع التعامل مع هذا الكون بأفق شمولي! وهذا الاقتدار لا يتصف به أحد بشكل تام وحقيقي الا مبدع الكون كله المتحكم الأوحد فيه، الذي خلق كل شيء ويقوم على تدبير كل شيء ويتفرد بسلطان أرادته فيخضع له كل شيء...

ومن هذا يتبين لنا أن وحي الله (جل وعلا) هو وحده المصدر الموثوق المؤهل للكلام من أفق شمولي مطلق، وأن مقرراته عما نراه وعما لا نراه هي حقائق لا يرقى اليها الشك ولا يليق بالعاقل الا أن يأخذها مسلمات.

فماذا نجد في الأعلام الإلهي؟

الجن كما يقرر القرآن عالم عاقل مريد مكلف كما هو الإنسان، غير أن مادة خلقهم وخصائص هيئاتهم تختلف عما هو عليه البشر، وبما يتعذر على حواس الآدميين رؤيتهم. الإيمان بعالم الجن يكفينا بشأنه ما ورد في القرآن الكريم، غير أنــه لا بأس ان قال العلم المادي كلمة لا تمس حرمة الغيب ولا تخرج عن حدود التعامل معه وأردنا الاستئناس بها!

فماذا قال علماء المادة في العصر الحديث...؟

(ان من أهم ما اكتشفه العلم وتوصل اليه العلماء في ميادين البحوث العلمية التي تختص بالذرة وطاقاتها ومكوناتها وجود عالم غير مرئي تشير اليه الأجهزة العلمية وتؤكده القياسات العلمية، ولكن لا يعرف العلم عنه شيئا إلا البعض اليسير الذي يزيده غموضا ويزيد من جهل الناس بـه، اذ كل ما توصل اليه العلم عنه أن هذا العالم تسكنه مخلوقات غير مرئية، تتكون من مادة غير المادة التي نعرفها والتي يتكون منها عالمنا المرئي، وأن هذه المادة التي يتكون منها سكان العالم غير المرئي علاوة على طبيعتها الخاصة التي تجعلها غير مرئية لنا فإنها ذات حرارة رهيبة لم يمكن بعد معرفة درجتها، وأنه أمكن في ظروف معينة التأكد من إشعاعات وأضواء الطاقة الحرارية المنبعثة من أجسام هذه المخلوقات)[1]. ان مسألة الحواس المحدودة الاقتدار والقصيرة المدى عند الإنسان ينبغي أن نتعامل معها بواقعية وأنصاف وتجرد من الهوى والغرض حتى لا نغمط الكثير من الحقائق الموجودة التي لا نراها وتعجز حواسنا عن الوقوف عليها، وبالتالي يمكننا التعامل مع أعظم قدر من الحقائق المشاهدة وغير المشاهدة أن نتفاعل مع الكون بأوسع إطار وأضخم منافع وأطول مدى.

ويبدو أن قسما من علماء الماديات في العصر الحالي أخذ يميل الى هذا التحوط، وبدأ السير في هذا الطريق. لقد أصبح معروفا عن طريق العلم والدين أن هناك حدودا كونية لا تطيق حواسنا ادراك ما وراءها، ولا يتسنى للعقل اجتيازها لمعرفة ما هنالك من حقائق العلم .. ذلك أن في هذا العالم من الأشعة الكونية مالا يحيط بعلمه إلا الله، وأن حواسنا خصت من تلك الأشعة بحيز ضيق جدا لا تستطيع تجاوزه، فاذا كنا نرى شيئا أو نسمعه فانا لا نرى الا ما تصل الينا ذبذباته وتموجاتـه التي تحدثها تلك الأشعة.. أما ما يقع فوق هذا الحيز الضيق وأسفله من سائر الأشعة فآماد شاسعة لا تستطيع حواسنا أن تستجيب لشيء من ذبذباته، لأنها لم تهيأ إلا للاستجابة لما في حيزها هذا الضيق المحصور.

والعلم لا يجحد أن في الكون كائنات غير مرئية لنا، ولا يجحد أن فيه أصواتا غير مسموعة لآذاننا.

ولا يسبق الى ذهن احدنا أننا نعني تلك الأصوات البعيدة التي يمكن التحايل على سماعها بالوسائل العلمية (كالتلفون والراديو) ونحوهما إنما نعني أصواتا قد تكون أقرب الينا من أي صوت آخر ولا نسمعها، لا لخفاء جرسها بل لعجز طاقة السمع عن الاستجابة لذبذبتها .. ! وكما يكـون هذا في الأصوات غير المسموعة يكون في الكائنات غير المرئية، فقد يكون الشيء قريبا منا ومع ذلك لا نراه، لا لأنه يحتاج الى (مكرسكوب) أو نحوه، بل لأنه ذو تموجات من قياس لا يتناسب البتة مع ما تستجيب له حاسة الإبصار عندنا.

ومهما يكن من شيء، فان العلم لا ينكر الجن ولا ينكر الملائكة لأنه لا ينكر وجود أصوات لا نسمعها، ولا مرئيات لا نستطيع أن نراها بما لنا من حاسة عادية [2].

إن هدف هذا البحث هو التعرف على الشيطان كيف نشخصه؟

من هو الشيطان؟ ما دور الشيطان في حياة الإنسان؟ كيف يؤثر فيه؟ كيف يخرجه من عز الطاعة إلى ذل المعصية؟ الحديث عن الجن بوصف الشيطان كان من الجن.

الدراسات السابقة

أغلب الأبحاث القرآنية تناولت حقيقة الشيطان في القرآن الكريم، لكن لم تتحدث عن الاستحواذ على الادميين والصد عن ذكر الله

سبحانه وتعالى والصد عن ذكر الله، بل تحدثت عن الفرق بين الشيطان وإبليس والجن.

فقرات البحث

المبحث الأول: الفرق بين الجن ، الشيطان ، إبليس.

المطلب الأول: الجن.

المطلب الثاني: الشيطان لغة واصطلاحا.

المطلب الثالث: إبليس لغة واصطلاحا.

المطلب الرابع: الفرق بين الشيطان والجن.

المبحث الثاني: حدود العلاقة بين الشيطان والإنسان

المبحث الأول: الفرق بين الجن، الشيطان، إبليس

المطلب الأول: الجن

مادة خلقهم

يقول تعالى:﴿ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴾[3]

ان مادة خلقهم تختلف عن مادة خلق الإنسان.. وقدرة الخالق الأوحد تصنع العجائب وتفعل ما تشاء لا يستعصي عليها شيء مهما يكن البشر خلقوا بالأصل من مادة الطين فصاروا الذي نراه عالما يتحدث عن الأبداع الإلهي بالعظمة والجلال، والجن خلقوا من مادة النار وتحديدا من لهبها فاستوى شأنهم وصاروا كبني آدم من حيث العقل والإرادة والتكليف.

وخلق الملائكة من النور تنوع آخر في أفعال القدرة العليا وربما يرد هنا تساؤل مفاده : الجن يشاركوننا العيش في الأرض .. كيف إذن لا يحترق كل شيء قابل للاتقاد طالما أن هذا الصنف من المخلوقات قد خلق من لـهب النار ...؟

وتساؤل آخر: لما كان الملائكة قد خلقوا من النور فلم إذن لا نحس بوجودهم في الظلام مثلا، كأن تنجلي الظلمة في الأماكن التي يمرون فيها، خاصة أن أرضنا تمتلئ بالملائكة الكرام قياما منهم بالعديد من المهام التي ذكرها القرآن ..؟

هكذا نتساءل بحكم مألوفا تنا الإنسانية التي نحسب أحيانا متوهمين ضرورة تعميمها في كل الكون.. !

ان خصائص الأشياء خاضعة لخالق يتحكم بها كيف يشاء وبما يؤدي الأمر الى عوالم لا اختلاف فيها ولا تضارب وتتضافر جميعها لتحصيل مقاصد الحكمة العليا.. !

ولما كان الله تعالى قد اعطى الطين خصائص معينة فتحول بعظيم اقتداره الى إنسان سوي صارت له خصائص معينة أيضا، فهو وحده كذلك القادر على التحكم بهذه الخصائص وتكييفها وفق مشيئته وهكذا الأمر بالنسبة للجن والملائكة وغيرهما.. !

نعم. .. ان التحكم بخصائص الأشياء لا يقدر عليه الا الخالق، والأمر ليس رهين مألوفا تنا وما نسيغه، وانما هو متعلق بمقتضيات حكمته عز وجل، وفي دنيانا قد حصلت أمثلة على ذلك كمعجزة النبي إبراهيم(ع) عندما ألقاه عابدو الأصنام في النار فجعلها الله تعالى بردا على رسوله وسلاما لأجل حكمة أراد ربنا سبحانه تحقيقها ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾4 ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [5]

الزواج و التناسل في عالم الجن

والجن فيهم الذكور والإناث، أي أنهم يتزاوجون ولهم ذرية أيضا وان كنا لانعرف تفاصيل أكثر من هذا يقول تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [6].. إن الإشارة هنا الى (رجال من الجن) تدل على أن هناك ما يقابلهم ضمن جنسهم وهو الإناث، لاسيما أن هناك آيات أخرى تعضد هذا المعنى وتكمله، منها: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾7 ففي الآية إيماء إلى قابلية الجن على مقاربة النساء وبالتالي الإشارة الى تزاوج الجن في عالمهم لان طبيعة خلقهم تحتمل هذا الفعل ، ولو لم تكن كذلك قبلهم ولا جان » .. ! لما كان ثمة داع الى ذكرهم في الآية الى جوار الإنس « لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ... » أما الآية الأخرى المكملة لمعنى وجود الذكور والإناث والتزاوج في عالم الجن فهي تلك التي أشير فيها الى وجود الذرية يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾[8]

خلق الجن قبل الأدميين

خلق الجن قد سبق إيجاد آدم.. يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾[9] ولكون خلقهم قد بدأ قبل خلق الآدميين ولأنهم يتناسلون لذا فهم أكثر عددا من بني الأنسان كما نلاحظ.

إمكانات الجن

ان قواهم الجسمية أكبر مما لدى البشر.. يقول تعالى: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ [10]. النبي سليمان (ع) أراد أن يحضر عرش ملكة سبأ في اليمن قبل أن تصل الملكة وقومها الى قصره مسلمين في فلسطين ، حتـــى يريهم بذلك معجزة تضاف الى معجزة الهدهد الذي أخبره بشأنهم فيستشعروا اليقين برسالته عن اختيار وقناعة بدل أن يؤمنوا تحت تأثير هيئة السلطان ورهبة الاقتدار الواسع فتطوع لأداء المهمة أحد الجن الذين سخروا لهذا الرسول الكريم ، وقول الجني بأنه يستطيع إحضار عرش الملكة قبل أن يقوم سليمان عليه السلام من مقامه أي خلال بضع ساعات يدل على أن لديه من القدرة على الفعل وسرعة الانتقال ويسر الحركة ما يفوق الاقتدار البشري المتعارف عليه .

والجن يمكنهم القيام بأدوار عدة كما يفهم من النصوص القرآنية: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [11] وقوله تعالى:﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [12].

وللجن إمكانية تجاوز آفاق الأرض والتجول في السماء، ولكن لا يسمح لهم بمجاوزة الحد المرسوم يقول تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا.. وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [13].

ويفهم من النصوص القرآنية أن لهم إمكانية العيش فوق كوكبنا وخارجه، فهم قد سخروا للنبي سليمان (ع)، وساحوا في السماء محاولين استراق السمع . ومن إمكاناتهم التي أثبتها القرآن أنهم يفهمون كلام أهل الأرض، بدليل أنهم سمعوا القرآن يتلى بالعربية فعرفوا مغزى ما فيه. فهذا النص القرآني يدل على أنهم قد خلقوا لغرض التكليف العبادي، ومثلهم في هذا لا يختلف عن بني آدم الذين خلقوا من بعدهم .

وتكليف الجن بالعبادة لم يترك من قبل الخالق عز وجل بلا تهيئة لما يحتاج من لوازم وإنما الأمر لا يختلف عما حصل للإنس من إرسال الأنبياء وتبليغهم آيات الله وتحذيرهم من الاغترار ببهرج الدنيا وتذكيرهم بلقاء الحساب في الآخرة وعدم ترك حجة لكافر يتعلل بها أمام الله في التبرؤ من الكفر وعدم التمسك بالحق الإلهي العظيم الذي ارتبط لزوم أدائه بإيجاد المكلفين.. يقول تعالى : « قل : أوحي الي أنه استمع نفر من الجن فقالوا:﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾[14]﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [15]

وانهم يفهمون كلام أهل السماء[16].. يقول تعالى:﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [17]

ولكنهم مهما أتيح لهم من قدرة على لمس السماء، ورغم ما أوتوه من اقتدار على فهم لغات أهل السماء والأرض، ورغم أن عالمهم غير مرئي للإنسان وعالمه مرئي لهم، فإن قدرة الجن تقف عاجزة أمام الغيب ، فهم لا يعرفون منه الا القدر الذي يسمح الله عز وجل بكشفه للخلق او لبعضهم .. يقول تعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [18]

الجن مكلفون

يقول تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[19] فهذا النص القرآني يدل على أنهم قد خلقوا لغرض التكليف العبادي ، ومثلهم في هذا لا يختلف عن بني آدم الذين خلقوا من بعدهم • وتكليف الجن بالعبادة لم يترك من قبل الخالق عز وجل بلا تهيئة لما يحتاج من لوازم وإنما الأمر لا يختلف عما حصل للأنس من أرسال الأنبياء وتبليغهم آيات الله وتحذيرهم من الاغترار ببهرج الدنيا وتذكيرهم بلقاء الحساب في الآخرة وعدم ترك حجة لكافر يتعلل بها أمام الله في التبرؤ من الكفر وعدم التمسك بالحق الإلهي العظيم الذي ارتبط لزوم أدائه بإيجاد المكلفين يقول تعالى :﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾[20] • ولذا فان جرائمهم التي يرتكبونها في دنياهم سيتحملون أوزارها كاملة بلا إفلات وبلا فرار من قبضة الجبار القوي العزيز جل شأنه عندما يحاسب عباده يوم القيامة يقول تعالى :﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ..﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾[21]

سنفرغ لمحاسبتكم بدقة أيها الجن والإنس، وانكم ان فررتم من أداء

حق الله عليكم في الدنيا بالتفريط فإنكم لعاجزون يوم الحساب عن الفرار في السموات والأرض وعرضهما لان قدرة ربكم لا يفلت منها شيء.

الجن صلحاء ومردة

وكما أن بني الأنسان فيهم المحسن والمسيء بنظر المنهج الإلهي فكذلك الجن فيهم الذين استناروا بآيات ربهم فصلحوا وفيهم الذين اعرضوا عن هذه الآيات فضلوا وهم المتمردون ويدخل ضمنهم الشياطين. يقول تعالى :﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾...﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[22] •

فهذه الآيات تقرر ازدواج طبيعة الجن، أي أنهم مستعدون للهدى والضلال كما هو شأن بني آدم ، ولكن باستثناء إبليس الذي تمحض للشر فقط وتفرغ لمهام الإغواء هو وذريته « قال :﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[23]•

ويفهم من تلك الآيات أيضا أن كفارهم يعذبون بنار وصالحيهم يكافؤون بنعيم الجنة، قد يقول البعض: كيف يعذبون بالنار وهم قد خلقوا من مادتها؟ ان قدرة الخالق جل وعلا تفعل ما يشاء هو ولا يهم ان استطاع البشر بعقولهم المحدودة إدراك إمكانية ذلك أو لم يستطيعوا، وان هذا الأمر لا يختلف من حيث فعل القدرة العليا عن جعل الأنسان ـ وهو مخلوق من مادة الأرض يتحرك ويفكر ويتكلم مثلا ...! والعاقل البصير يحمل كلام الله كما هو ولا يضع الشروط لأجل قبوله كتصديق ما يسوغ منه في العقل الآدمي المحدود وعدم تصديق ما يعجز هذا العقل عن إدراكه، فهذا تعسف في الأيمان بالحقائق التي يقررها خالق الكون.

المطلب الثاني: الشيطان

الشيطان في اللغة من شطن، والنون فيه اصليه أي تباعد، ومنه بئر شطون وشطنت الدار و غربة شطون. وقيل بل النون فيه زائد من شاط يشيط اي احترق غضباً فالشيطان أو إبليس من الجن و الجن مخلوق من النار كما دل عليه قول تعالى ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ﴾ : [24]وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [25] وقال تعالى: ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ [26]بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة والامتناع من السجود لآدم، قال ابو عبيدة الشيطان اسم لكل عارم من الجن والإنس والحيوانات:[27]

اصطلاحاً

الشيطان في الاصطلاح الشرير، وقد غلب استعماله في إبليس الذي يصفه القرآن الكريم وذريته. فهو خلق من خلق الله مكلف كالانسان قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [28]

والشيطان: كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب، وإن الشيء إذا أستقبح شبه بالشيطان، الشيطان، لا يُرى ولكنه يُستشعر أنه أقبح ما يكون من الاشياء ولو رؤي لرؤي في أقبح صورة قال تعالى: «إنّها شجرة تخرج في أصل الجحيم ** طلعها كأنه رءوس الشيطين [29] أي في قباحتها:، والشيطان نفسه إبليس، وسمي إبليس إبليسا نسبة إلى كلمة أبلس: أي يئس و ندم وأبلس من رحمة الله: أي يئس من رحمة الله وندم قال تعالى:﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [30]

المطلب الثالث: إبليس لغة

إبليس لعنه الله مشتق منه لأنه أبلس من رحمة الله أي يئس [31] .

والشيطان من الجن (بالفتح) وهو الاستتار وهو في عرف القرآن نوع من الموجودات ذوات الشعور والإرادة مستورةً عن حواسنا وهم غير الملائكة [32]

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَيْكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [33] وكان معروفاً باسم (عزرائيل) في التوراة.

وسمي الشيطان أيضاً خنّاساً لأنه يوسوس للإنسان فإذا ذكر الله تعالى رجع وتأخر (أي خنس وسكن ثم إذا غفل عاد إلى وسوسته [34] وسمى بـ (طاووس الملائكة) لكثرة عبادته.

ومن أسماء الشيطان الغرور قال تعالى: ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ..﴾[35]

وكنيته (أبو مرّة)

التلبيس إظهار الباطل في صورة الحق، والتلبيس كالتدليس والتخليط واللبس الخلط، ولبس عليه الامر أي اختلط عليه الأمر حتى لا يعرف جهته [36]

ومن جملة أسمائه الخبيث والمهلك والهاوية واطلق عليه انجيل يوحنا لقب (رئيس العالم ولهذه التسمية أو الصفة ما يبررها إن أريد بالعالم عالم الشر.

وفي قاموس الكتاب المقدس الشيطان كائن حقيقي، وهو أعلى شأناً من الإنسان، ورئيس رتبة من الأرواح النجسة.. أما أعوانه فهم عصبة الأرواح الساقطة وهو يوقع الناس في الخطيئة عن طريق الغش والاحتيال ويظهر بمظهر النور والتنين والصور المقبولة

للناس وتجدر الإشارة إلى ان الشيطان اسم جنس يشمل ابليس وغيره. ونحن لم نر كائناً من جنس خاص يسمى شيطاناً، ولكن الوحي أخبر عنه، والعقل لا ينفيه فوجب التصديق.

اصطلاحاً:

وقد ورد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا أنه ذكر ان اسم إبليس (الحارث) وانما قول الله عزّوجل يا (إبليس) يا عاصي وسمي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله عزّوجل (أي يئس منها) [37].

إذن من مصاديق الشيطان إبليس.

وفي الحديث أيضاً: «اذا ولد المولود لبني آدم قرن إبليس به شيطاناً وقرن الله به ملكاً فالشيطان جاثم على إذن قلبه الأيسر والملك قائم على إذن قلبه الأيمن فهما يدعوانه»[38]

الفرق بين الشيطان والجن

لقد تقدم الحديث ان الشيطان لغة هو التباعد وكل شيء بعيد ومنه برّ شطون وشطنت الدار وغربة شطون، وكل عات متمرد من الجن والدواب، وان الشيء إذا استقبح شبه بالشيطان، لا يرى ولكن يستشعر به واصطلاحاً: هو الشرير، وقد غلب استعماله في إبليس الذي يصفه القرآن الكريم وذريته، فهو خلق من خلق الله مكلف كالإنسان وهو من الجن والجن مخلوق من النار.

قال تعالى: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾[39]

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[40]

إذن الشيطان أو إبليس بالمعنى الاصطلاحي هو من سنخ الجن و لكن الشيطان كفر، اما الجن فمنهم الصالحون ومنهم دون ذلك. قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾[41]

وقالوا على انفسهم أيضاً ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾[42]

أي منا الذين استسلموا لما أمرهم الله سبحانه به وانقادوا لذلك (ومنا القاسطون) أي الجائرون عن طريق الحق[43].

ولقد ذكروا أيضاً أن إبليس كان سفيهاً و نسبوه إلى انفسهم قال تعالى: «وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً [44] أي ان إبليس كان جاهلاً و كان يقول على الله سبحانه باطلاً، فاعترفوا بأن ابليس كان يخرج عن الحد في اغواء الخلق و دعائهم إلى الضلال و قيل (شططا) أي قولاً بعيداً من الحق و هو الكذب في التوحيد و العدل[45]

ولا يفوتنا ان نذكر ان إبليس كان من الكافرين بصريح القرآن الكريم قال تعالى: (وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين» [46]. أي انه كان كافراً في الأصل وهذا القول يوافق مذهبنا في الموافاة وقيل أراد كان في علم الله تعالى من الكافرين وقيل معناه صار من الكافرين، والنتيجة انه كان من الكافرين[47]

المبحث الثاني: حدود العلاقة بين الشيطان والإنسان

التغرير بالآدميين وإضلالهم

يقول تعالى : « وقال :﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ .... ۚ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ •[48] انه تعهد شيطاني صريح العبارة مكشوف الأبعاد خسيس المرامي بأن يدأب هذا اللعين على التغرير ببني الإنسان وخداعهم لأجل أن يضلوا.

والمقصود بإضلالهم هو أن يبعدهم عن منهج الله تعالى ، اعتمادا على براعته في الخداع واستنادا الى غفلة الأغرار عن عداوته وابتداء من أصغاءهم لمقولاته ذات البريق فعندما يتحقق من أنهم بدأوا يصغون لوسوسته يسعى سوق الأمنيات الكاذبة كأن يعللهم بطول العمر حتى يؤجلوا العمل الصالح وتبقى علاقتهم خربة مع الخالق فيحل بهم الموت وهم على هذه الحال.

الإبعاد عن الصراط المستقيم

إن إبعاد الشيطان لمنفذي توجيهاته عن منهج الله القويم كفيل وحده بأن يجعلهم يتيهون لأنهم يعدمون بذلك الموجه الحاني السديد الى سواء السبيل. والشيطان يحرص على هذا الأمر ابتداء من الأيام الأولى للوليد ، انه يحث والديه أن يطلقا العنان لفلذة كبدهما في أن يصنع ما يحلو له دون تدريبه على الالتزام بحلال أو حرام ، وأن لا يطلبا منه التقيد بفرائض أمر الله تعالى بها لأنه غض العود الآن فلينتظرا حتى يشتد ساعده فاذا شب وصار في سن التكليف أمره الشيطان بزجر والديه إن هما طالباه بالتمسك بشعائر المنهج الإلهي وإخضاع حياته كلها لمقتضياته زاعما انه ليس بطفل قاصر حتى يحتاج إرشادا من أحد وبأنه يعيش في زمن غير الزمن الذي عاش فيه الأبوان وبأنه يعرف جيدا ما يصلح له وما لا يصلح (بعقل متفتح) فالأولى أن يتبعه الأبوان فيما هو يختاره لهما لا أن يتبع هو قناعة أبوين عاشا قبله بخمسين عاما.

ولا يقف الأمر الى حد أن يعطي هذا العاق ظهره للمنهج الإلهي وإنما نراه يدأب ـ وهو يصغي لتوجيه الشيطان ـ على أن يخترع هو منهجا أو يتابع الآخرين في مناهجهم الضالة معتقدا أن هذا السلوك هو الراجح وحده في طريق الحياة.

قال :﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[49]

الأمر بالسوء والفحشاء والمنكر

والإنسان عندما يصغي للشيطان ويضل ويتمرد على المنهج الإلهي ويتخذ بديلا له يحمل الناس بكل ما يستطيع على اتباعه ماذا ينتظر منه؟

انه يتحول الى ساحة يستعرض بها الشيطان كل معاني السوء وخصال الشر ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [50] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ [51]

خطوات يتحول بها الإنسان إلى بؤرة للسوء ونموذج يحفل بالفحشاء والمنكر.. ولو أنك جئت الى واحد من هؤلاء البائسين وأعلمته بما فعل به الشيطان حتى بلغ به ذلك المستوى من البعد عن المنهج السليم والتردي الفظيع الى الحضيض لاستغرب مما تقوله، لماذا.

لان أبا مرة اللعين في خطوات إغوائه لا يشعر الآدمي بأنه يأخذ بيديه الى الضلال وسوء العاقبة وإنما هو يزين له السيئ ويقبح له الحسن ، انه تعهد أمام الله تعالى بصريح العبارة أن يضل عباده ، نعم ولكن ليس من المعقول أن يحاول تضليلهم مجاهرا بأنه لا يهديهم وإنما هو يوهمهم بأنه يقودهم في أصح المسالك الى ألذ المنافع وأعز العواقب .

ولذا فانك لو حدثتهم لوجدت لديهم الكثير من (الحجج) التي بها يتشبثون وبها يستطيلون رغم أنها ذات طلاء واه تتهافت أمام نور الله الذي يملأ بصيرتك.

الصد عن ذكر الله

أن ذكر الله تعالى نور تنجلي به الظلمات، فاذا توغل في الأعماق واتسع مداره وانداح بعيدا على الجوانب فإنما هو بذلك يفسد على الشيطان تدبيره ويهدم ما بناه

ولذا يحرص الشيطان بكل ما يستطيع من مكر وخداع بشتى الأساليب على صرف الناس عن ذكر الله تعالى، وتمثل الصلاة أهم حالات الذكر فمن أصغى للشيطان تولى نسج الغلالات على قلبه لئلا يتحسس ذكر الله وراح يربط حواسه جيدا بكل ما يتعارض مع الذكر كعدم المبالاة واللهو والسفاسف.

ومن لم يصغ للشيطان لا ييأس هذا منه، وإنما يدأب بكل أساليه بصرفه عن الذكر أو على الأقل أن يشوش عليه ويجعل مردود الاتصال القلبي بالله تعالى ضعيفا قدر ما يستطيع.

والمحاولات الرتيبة المستمرة التي يبذلها الشيطان دائما تتبين واضحة فيما يحاوله من إغرائه ليصرفه عن العبادة أو يؤخره عن أدائها ويجتهد تماما لينسيه القيام بها أو إثارة المشاغل في نفسه عند أدائها ليصرفه ما أمكن عن التفرغ لها .. فيبدأ الشيطان منذ اللحظة الأولى التي يحاول الإنسان القيام فيها ليؤدي صلاة الفجر فيزين له النوم ويغريه بالاستمرار فيه ولو لعدة دقائق فمازال الوقت متسعا ويسمح لفترة أخرى من النوم الى أن ينام الإنسان وتشرق الشمس واذا تغلب الإنسان على الشيطان ولم يصبه النوم عاد اليه ناصحا بالتأخير لحظات حتى تنكسر حدة البرد ، فالبرد شديد والدفء جميل والدين يسر ، وان كان الصيف زين له الانصراف عن القيام بطريقة أو أخرى ولسبب أو غيره وفي صلاة الظهر كذلك ، وفي صلاة العصر يصور له نفسه المتخمة بالأكل أو المجهدة من العمل ويدفعه إلى التمهل والتريث لحظة و لحظات حتى تغرب الشمس ، وفي صلاة المغرب يلهيه بمختلف الوسائل وشتى الأسباب وما أيسر أن يشغله عن صلاة المغرب في وقتها .. أما في العشاء فكرر ما بدأه في الصباح وما استمر عليه في الأوقات كلها محاولات لتأجيلها عن طريق البرد الشديد والأغراء بالنوم ولو فترة ينهض بعدها للصلاة ، وطالما دخل الإنسان الفراش ونام فهيهات ان ينهض بعدها للصلاة ، وكثيرا ما يتغلب الإنسان على هذه المحاولات الساذجة من الشيطان بصرفه عن الصلاة في وقتها فاذا وجده مصرا عليها محافظا على أدائها بوقتها فانه يلجأ الى حيل أخرى ويعمد الى وسائل مختلفة.

فعندما يتوضأ يشككه في وضوئه، وهل أتمه كما يجب أم يعود للتوضؤ مرة أخرى، واذا هم للصلاة بوضوئه أقامها بغير اطمئنان من وضوئه، ويلجأ الى وسيلة واحدة يحاولها مع كل المصلين فبمجرد إقامة الصلاة يوسوس الشيطان للإنسان بكل مشاكله ويوجهه الى كل متاعبه ويشحن عقله بكل ما يشغله، وما ذلك إلا ليلهيه عن التفرغ للصلاة والاطمئنان فيها والتجرد لها [52]

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [53]

الاستحواذ على الآدميين

ويرمي الشيطان بكل أضاليله وما تنطوي عليه من المكر والخداع الى أن يغدو مستحوذا على الآدميين بمعنى أن يسيطر على أكبر طائفة منهم فيجعلها خاضعة في كل شأنها لتوجيهاته تمضي حيثما يشير وتحقق له كل ما يريد من أغراض خبيثة.

قال :﴿ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (54)

انه تعهد شيطاني معلن منذ البداية محدد الأهداف بجلاء، تعهد أهوج بأن يمضي الشيطان الى آخر شوط الضلال جارفا معه كل من يصغي له وينخدع به، تعهد أذن الله تعالى لقائله أن يتصرف، لماذا؟

لان الأغراء الشيطاني سيكون أحد عناصر الابتلاء الإنساني أثناء الاستخلاف في الأرض، ولان الله تعالى توعد الشيطان وأتباعه جهنم وبئس المصير.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (55)

خذل الإنسان وإذلاله

والشيطان في كل أفاعيله ضد بني الإنسان الرامية الى الاستحواذ على الآدميين أنما يريد أن يرى الغواة المخدوعين يجللهم ذل المعصية ويحيق بهم العذاب ويضمهم أسوأ مصير يعانون حالة الخذلان أمام الله تعالى.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يا وَيْلَتَا لَيتني لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً* لَّقَدْ أضلني عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءني وَكَانَ الشَّيْطانُ للإنسان خَذُولاً﴾ (56)

ويا للخذلان الفظيع عندما يمضي الإنسان أطول فترة قد تستغرق كل عمره يصغي خلالها لتوجيهات خليل على أساس أنه ناصح يشير عليه بما ينبغي له أن يفعل في كبير شؤونه وصغيرها ثم يكتشف أخيرا تخلي هذا الصديق المزعوم عنه ليعاني الانحدار الى اعمق هاوية وأبشعها.

اذا تخلى عن الآدمي أقرب خلانه في وقت الضيق والشدة فماذا يتبقى له عندئذ من ملاذ وهو يعيش الخذلان بأقسى صوره وأسوأ مواقفه!

حدود لا يتجاوزها الشيطان

يقول تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾(57)

الشيطان مفسد واعطي شيئا من حرية التصرف ولكن هناك حدودا لا يستطيع مد إفساده اليها .

لو أنه استطاع استراق السمع في السماء ومعرفة ما يدور في الملأ الأعلى لراح يسخر المعلومات العلوية ليس في المزيد من التظليل فحسب وإنما لصار قادرا على الادعاء بأنه يعلم الغيب وأن له سلطانا في الكون يشبه سلطان الاله.

فالكلام السماوي محرم على الشياطين التقاطه ومن تسمع منهم شيئا فانه لا يفلت به من الرجم والحرق بالنار إذ ينقض عليه شهاب يدمره تماما وله في الآخرة عذاب أشد وأبقى.

إن وظيفة الشيطان التي ارتضاها ليس مجالها الأفق السماوي المخصص للملأ الأعلى، أنها تقع في الأرض وحواليها فعليه إن يدور في فلكها حيث العالم السفلي ولا يذهبن به الغرور الى أنه متروك انه أراد لا محاولة إغواء البشر فسمح له بها مع التوعد بملء جهنم من المردة وأتباعهم، أما أن يتصرف كما يحلو له في كل اتجاه فهذا أمر لا يمكن لأنه خاضع لتقدير الاله العزيز الحكيم وحده.

انهم عن الوحي معزولون

وكذلك الوحي النازل من عند الله تعالى، انه محفوظ من اطلاع الشياطين عليه، فهو غيب أولا ويتضمن ثانيا منهج التكليف الإلهي لأهل الأرض فيما يراد منهم أن يفعلوه أثناء دنياهم .

ان الوحي يمثل العنصر الأعظم في ابتلائنا فوق الأرض الذي يحبذ الله تعالى له أن يتمخض عن أجدى النتائج لعباده فكيف لا يعزل المردة عن استباق نزوله وهم قد أخذوا على عاتقهم مهمة صرف الناس عن التمسك بهذا الوحي.

يقول تعالى : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَت بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُم وَمَا يَستَطِيعُونَ إِنَّهُم عَنِ ٱلسَّمعِ لَمَعزُولُونَ ﴾ (58)

يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أنه نزل به الروح الأمين المؤيد من الله ﴿ وما تنزلت به الشياطين﴾، ثم ذكر أنه يمتنع عليهم ذلك من ثلاثة أوجه أحدها أنه ما ينبغي لهم أي ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد ، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونور وهدى وبرهان عظيم فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة ، ولهذا قال تعالى : « وما ينبغي لهم ، وقوله تعالى : « وما يستطيعون ، أي ولو بغى لهم لما استطاعوا ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (59)

ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته لما وصلوا الى ذلك لانهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله لان السماء ملئت

حرسا شديدا وشهبا في مدة انزال القرآن على رسول الله فلم يخلص أحد من الشياطين الى استماع حرف واحد منه لئلا يشتبه الأمر ، وهذا من رحمة الله بعباده وحفظه لشرعه وتأييده لكتابه ولرسوله (60)

انهم عجزوا عن معرفة غيب أقل مرتبة من ذلك وهو موت النبي سليمان(ع) الذي كان معلوما للملائكة الذين قبضوا روحه فمن الطبيعي أن يكونوا أي الشياطين أشد عزلة عما اقتصر علمه على الله عز وجل[61].

يقول تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾[62]

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [63]

المدى المتاح لفعل الشيطان

صحيح أن إبليس تمرد على الأمر الإلهي فاستحق الطرد من الملأ الأعلى ، وصحيح أنه استمهل ربه في إغواء بني آدم فأذن له ، غير أن هناك مدى حدد له ليتحرك في نطاقه لا يستطيع أن يتخطاه فالإنسان مزود من خالقه باستعداد للهدى والضلال وله من المدارك والحواس ما يعينه على تفضيل طريق الخير على طريق الشر فضلا عن توفر المنهج الإلهي القويم الذي يعصم المستجير به .

وهناك أيضا الردع الإلهي بأشد العقاب وأدومه فالتصرف الشيطاني مهما يبلغ أوجه لا يستطيع أن يمس مرامي الحكمة العليا ولا يستطيع أن ينشر خرابا في الوجود كما يشتهي إبليس وذريته وخارج الحدود المسموح بها .

قال تعالى :﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا 63 وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[64]

اذهب فحاول محاولتك ، اذهب مأذونا في إغوائهم ، فهم مزودون بالعقل والإرادة ، يملكون أن يتبعوك أو يعرضوا عنك (فمن تبعك منهم) مغلبا جانب الغواية في نفسه على جانب الهداية معرضا عن نداء الرحمان الى نداء الشيطان غافلا عن آيات الله في الكون وآيات الله المصاحبة للرسالات فان جهنم جزاؤكم ، أنت وتابعوك (جزاء موفورا) واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخلك وهو تجسيم لوسائل الغواية والإحاطة والاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول ، فهي المعركة الصاخبة تستخدم فيها الأصوات والخيل والرجل على طريقة المعارك والمبارزات ، يرسل فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة أو يستدرجهم للفخ المنصوب والمكيدة المدبرة ، فاذا استدرجوا الى العراء أخذتهم الخيل وأحاطت بهم الرجال.

(وشاركهم في الأموال والأولاد) وهذه الشركة تتمثل في أوهام الوثنية الجاهلية اذ كانوا يجعلون في أموالهم نصيبا للآلهة المدعاة ـ فهي للشيطان ـ وفي أولادهم نذورا للآلهة أو عبيدا لها ـ فهي للشيطان ـ كعبد اللات وعبد مناة، وأحيانا كانوا يجعلونها للشيطان رأسا كعبد الحارث.

كما تتمثل في كل مال يجبى من حرام أو يتصرف فيه بغير حق أو ينفق في إثم ، وفي كل ولد يجيء من حرام ففيه شركة للشيطان .. والتعبير يصور في عمومه شركة تقوم بين إبليس وأتباعه تشمل الأموال والأولاد وهما قوام الحياة.

وإبليس مأذون في أن يستخدم وسائله كلها ، ومنها الوعود المغرية الخادعة : (وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا) كالوعد بالإفلات من العقوبة والقصاص ، والوعد بالغنى من الأسباب الحرام والوعد بالغلبة والفوز بالوسائل القذرة والأساليب الخسيسة ولعل أشد الوعود أغراء الوعد بالعفو والمغفرة بعد الذنب والخطيئة ، الثغرة التي يدخل منها الشيطان على كثير من القلوب التي يعز عليه غزوها من ناحية المجاهرة بالمعصية والمكابرة ، فيتلطف حينئذ الى تلك النفوس المتحرجة ويزين لها الخطيئة وهو يلوح لها سعة الرحمة الإلهية وشمول العفو والمغفرة . [65]

سلطانه على من؟

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[66] انه قانون الهي، فالعباد المعتصمون بحمى الله عز وجل ليس للشيطان تأثير يزعزعهم ولا سلطان له عليهم يتجهون في ظله حيثما يشير فهم حتى عندما يكبون بفعل غفلة يستغلها أبو مرة لا يستسلمون لسلطانه ولا يرضخون وإنما يستدركون خطأهم بالتوبة واستغفار ربهم معاودين السير في الطريق القويم.

أما الذين ألقوا زمامهم بيد الشيطان فهم الذين يملك أن يمارس سلطانه فيهم مطمئنا بأن مشورته مهما تكن مرارتها وسوء عاقبتها لا ترد عليه بالرفض وانما تستلم من هؤلاء وكأنها أمر مقدس.

والأمر كما ترى ليس فيه إجبار:﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ﴾ (67)

كل سلطانه هو أن دعاهم فاستجابوا رسل الله دعوهم الى خير الدنيا والآخرة ذاكرين لهم أقوى الحجج وأصدق البراهين فوقفوا منهم موقف التكذيب والاستكبار والإعراض، أما الشيطان فدعاهم الى السوء وأوخم العواقب في الدنيا والآخرة بدون أي حجة أو دليل فأجابوه كالعميان.

﴿قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾[68]انه جواب على القائل : ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِيۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾[69] فيقول لهما الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (70)

والضالون لفرط غفلتهم لا يحسبون أحيانا أن هناك شيطانا ينفث في بواطنهم سمومه ، وإنما هم يعتقدون أنهم يأخذون خطراته التي يشير فيها عليهم بما يفعلون على أنها شيء نابع من النفس يعبر عن مصالح الذات بشكل جيد و بكل الاهتمام والحرص.

ان حاجز عقيدة الإسلام يصنع في النفس الإنسانية العجائب، فبينما نرى كثرة ممن باعوا أنفسهم رخصة للشيطان يصل بهم الهوان الى حد التفريط بكل شيء نفيس من أجل حفنات من المتاع الفاني نجد في المقابل نماذج ممن باعوا أنفسهم الله تعالى تعرض عليهم الدنيا بقسط وافر وزاه لأجل موقف واحد فقط يخدشون به أيمانهم فيأبون بكل عز وكبرياء ومنعة حتى لو كلفهم الأمر التضحية بأرواحهم التي ان فارقت الدنيا لا تعود اليها ثانية.

أسطورة الصلة بين الله وبين الجن

قال تعالى : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[71]

يوجه الله سبحانه وتعالى في هذا الشوط من السورة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) أن يناقش مع المشركين الكافرين تلك الأسطورة التي يزعمون فيها أن الملائكة بنات الله ، والأسطورة الأخرى التي يزعمون فيها أن بينه سبحانه وبين الجنة نسباً ، وأن يواجههم بما كانوا يقولونه قبل أن تأتيهم هذه الرسالة من تمنيهم أن يرسل الله فيهم رسولاً ، ومن أنهم على استعداد للهدى لو جاءهم رسول ، وكيف كفروا عندما جاءهم الرسول .. وتختم السورة بتسجيل وعد الله لرسله أنهم هم الغالبون ، وبتنزيه الله سبحانه عما يصفون ، والتوجه بالحمد رب العالمين. إنه يحاصر أسطورتهم في كل مساربها ، ويحاجهم بمنطقهم ومنطق بيئتهم التي يعيشون فيها ، وهم كانوا يؤثرون البنين على البنات ، ويعدون ولادة الأنثى محنة ، ويعدون الأنثى مخلوقاً أقل رتبة من الذكر ، ثم هم الذين يدعون أن الملائكة إناث ، وأنهم بنات الله[72] .

فهو هنا يستطرد معهم وفق منطقهم ، ويأخذهم به ليروا مدى تهافت الأسطورة وسخفها حتى بمقاييسهم الشائعة : ﴿فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ﴾ ؟

أئذا كان الإناث أقل رتبة كما يدعون ، جعلوا لربهم البنات واستأثروا هم بالبنين ؟ أو اختار الله البنات وترك لهم البنين ؟ إن هذا أو ذاك لا يستقيم ! فاسألهم عن هذا الزعم المتهافت السقيم . – واستفتهم كذلك عن منشأ الأسطورة كلها ، من أين جاءهم علم أن الملائكة إناث ؟ وهل هم شهدوا خلقهم فعرفوا جنسهم ؟ ﴿ أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون ﴾ ؟

ويستعرض نص مقولتهم المفتراة الكاذبة على الله:

﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون * ولد الله وإنهم لكاذبون ﴾

وهم كاذبون حتى بحكم عرفهم الشائع ومنطقهم الجاري في اصطفاء البنين على البنات ، فكيف اصطفى الله البنات على البنين؟

﴿ أصطفى البنات على البنين ﴾ !

ويعجب من حكمهم الذي ينسون فيه منطقهم الجاري :﴿ مالكم كيف تحكمون ، أفلا تذكرون ﴾..

ومن أين تستمدون السند والدليل على الحكم المزعوم[73] ؟

﴿ أم لكم سلطان مبين ، فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين ﴾؟

والأسطورة الأخرى ، أسطورة الصلة بينه سبحانه وبين الجن :

﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً ولقد علمت الجنة إنهم لحاضرون ﴾ وكانوا يزعمون أن الملائكة ، هم بنات الله بزعمهم ولدتهم له الجن !وذلك النسب والقرابة ! والجن تعلم أنها خلق من خلق الله وأنها محضرة يوم القيامة بإذن الله ، وما هكذا تكون معاملة النسب والصهر !

وهنا ينزه ذاته سبحانه عن هذا الإفك المتهافت :﴿سبحان الله عما يصفون ﴾

استمتاع الجن بالإنس والإنس بالجن

قال تعالى :﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾. (74)

بعد أن عرض شياطين الإنس والجن، الذين قضوا الحياة يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً وخداعاً وإضلالاً، ويقف بعضهم بعض عدواً لكل نبي ، ويوحى بعضهم إلى بعض ليجادلوا المؤمنين في ما شرع الله لهم من الحلال والحرام ؛ يعرضهم في مشهد شاخص حُي ، حافل بالحوار والاعتراف والتأنيب والحكم والتعقيب ، فائض بالحياة التي تذخر بها مشاهد القيامة في القرآن :﴿ويوم يحشرهم جميعاً ﴾

إن المشهد يبدأ معروضاً في المستقبل ، يوم يحشرهم جميعاً .. ولكنه يستحيل واقعاً للسامع يتراءى له مواجهة ، وذلك بحذف لفظة واحدة في العبارة ، فتقدير الكلام ، ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ﴾ فيقول : ﴿ يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس .. ﴾ ولكن حذف كلمة – يقول – ينتقل بالتعبير المصور نقلة بعيدة ، ويحيل السياق من مستقبل ينتظر إلى واقع ينظر ! وذلك من خصائص التصوير القرآني العجيب فلنتابع المشهد الشاخص المعروض :

﴿ يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴾ !

استكثرتم من التابعين لكم من الإنس ، المستمعين لإيحائكم ، المطيعين لوسوستكم ، المتبعين لخطواتكم .. وهو إخبار لا يقصد به الإخبار فالجن يعلمون أنهم قد استكثروا من الإنس ! إنما يقصد به تسجيل الجريمة – جريمة إغواء هذا الحشد الكبير الذي نكاد نلمحه في المشهد المعروض !- ويقصد التأنيب على هذه الجريمة التي تتجمع قرائنها الحية في هذا الحشد المحشود ! لذلك لا يجيب الجن على هذا القول بشيء ، ولكن الأغرار الأغمار من الإنس المستخفين بوسوسة الشياطين يجيبون : ﴿وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾[75] !

وهو جواب يكشف عن طبيعة الغفلة والخفة في هؤلاء الأتباع ، كما يكشف عن مدخل الشيطان إلى نفوسهم في دار الخداع .. لقد كانوا يستمتعون بإغواء الجن لهم وتزيينه ما كان يزين لهم من التصورات والأفكار المكابرة والاستهتار ، ومن الإثم ظاهره وباطنه ! فمن منفذ الاستمتاع دخل إليهم الشيطان ! وكانت الشياطين تستمتع بهؤلاء الأغرار الأغفال كانت تستهويهم وتعبث بهم ، وتسخرهم لتحقيق هدف إبليس في عالم الإنس ! وهؤلاء الأغرار المستخفون يحسبون أنه كان استمتاعاً متبادلاً ، وأنهم كانوا يمتعون فيه ويتمتعون ! ومن ثم يقولون

﴿ ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ !

ودام هذا المتاع طوال فترة الحياة ، حتى حان الأجل ، الذي يعلمون اليوم فقط أن الله الذي أمهلهم إليه ، وأنهم كانوا في قبضته في أثناء ذلك المتاع : ﴿ وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا ﴾!

عند ذلك يجيء الحكم الفاصل ، بالجزاء العادل : ﴿قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾

فالنار مثابة ومأوى ، والمثوى للإقامة ، وهي إقامة الدوام .. ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ لتبقى صورة المشيئة الطليقة هي المسيطرة على التصور الاعتقادي ، فطلاقة المشيئة الإلهية قاعدة من قواعد هذا التصور ، والمشيئة لا تنحبس ولا تتقيد ، ولا في مقرراتها هي : ﴿إن ربك حكيم عليم ﴾ يمضي قدره بالناس عن حكمة وعن علم ، ينفرد بهما الحكيم العليم وقبل استئناف الحوار لإتمام المشهد ، يتحول السياق للتعقيب على شطر المشهد المنتهى :﴿ وكذلك تولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ .

يمثل هذا الذي قام بين الجن والإنس من ولاء، وبمثل ما انتهى إليه هذا الولاء من مصير بمثل ذلك ، وعلى قاعدته ، نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ، نجعل بعضهم أولياء بعض ، بحكم ما بينهم من تشابه في الطبع والحقيقة ، وبحكم ما بينهم من اتفاق في الوجهة والهدف ، وبحكم ما ينتظرهم من وحدة في المصير.

وهو تقرير عام أبعد مدى من حدود المناسبة التي كانت حاضرة، إنه يتناول طبيعة الولاء بين الشياطين من الإنس والجن عامة، فإن الظالمين – وهم الذين يشركون بالله في صورة من الصور يتجمع بعضهم إلى بعض في مواجهة الحق والهدى، ويعين بعضهم بعضاً في عداء كل نبي والمؤمنين به ، طينة واحدة - مهما اختلفت الأشكال إنهم فضلاً على أنهم أصحاب مصلحة واحدة ، تقوم على اغتصاب حق الربوبية على الناس ؛ كما تقوم على الانطلاق مع الهوى بلا قيد من حاكمية الله .

ونحن نراهم في كل زمان كتلة واحدة يساند بعضهم بعضاً – على

ما بينهم من خلافات وصراع على المصالح – إذا كانت المعركة مع دين الله ومع أولياء الله.. فبحكم ما بينهم من اتفاق في الطينة، واتفاق في الهدف يقوم ذلك الولاء .. وبحكم ما يكسبون من الشر والإثم تتفق مصائرهم في الآخرة على نحو ما رأينا في المشهد المعروض!

النتائج

أن وجود الجن ثابت بطرق كثيرة غير دلالة الكتاب والسنة، فإن من الناس من رأهم، وفيهم من رأى من رآهم، وثبت ذلك عنده بالخبر واليقين ومن الناس من كلمهم وكلموه، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ويتصرف فيهم: وهذا يكون للصالحين وغير الصالحين، لكن الاعتماد على الأجوبة العلمية يكون على ما يشترك الناس في علمه، لا يكون بما يختص بعلمه المجيب، إلا أن يكون الجواب لمن يصدقه فيما يخبر به والجان المؤمنين مأمورون بأعمال زائدة على التصديق، ومنهيون عن أعمال غير التكذيب، فهم مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم، فإنهم ليسوا مماثلي الإنس في الحد والحقيقة، فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساويا لما على الإنس في الحد، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي، والتحليل والتحريم، وهذا مالم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين وكذلك لم يتنازعوا أن أهل الكفر والفسوق والعصيان منهم يستحقون لعذاب النار، كما يدخلها من الآدميين، لكن تنازعوا في أهل الإيمان منهم، فذهب الجمهور إلى أنهم يدخلون الجنة، ومنهم من قال: أنهم يكونون في رياض الجنة، يراهم الإنس من حيث لا يرونهم. وذهب طائفة– إلى أن المطيعين منهم يصيرون تراباً كالبهائم، ويكون ثوابهم النجاة من النار، وهل فيهم رسل أم ليس فيهم إلا نذر؟ على قولين: فقيل: فيهم رسل لقوله تعالى : ﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم .. ﴾[76] وقيل: الرسل من الإنس، والجن فيهم النذر، وهذا أشهر، فإنه أخبر عنهم باتباع دين محمد (ﷺ)، وأنهم ﴿ولوا إلى قومهم منذرين · قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾[77]...

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ - إلى قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[78] .. فأخبر عن الشيطان أنه يخاف الله، والعقوبة إنما تكون على ترك مأمور أو فعل محظور وليس هو هنا التصديق وأيضاً فإبليس الذي هو أبو الجن، لم تكن معصيته تكذيباً، فإن الله أمره بالسجود، وقد علم أن الله أمره، ولم يكن بينه وبين الله رسول يكذبه، ولما امتنع عن السجود لآدم عاقبه الله العقوبة البليغة.

وقوله تعالى في قصة سليمان (عليه السلام): ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ.. ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[79]... وقد جعل في ذلك ما أمرهم به من طاعة سليمان عليه السلام، وقد قال تعالى عن بليس إنه عصى ولم يقل كذب، وقد قال تعالى عن الجن: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ ... إلى قوله: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾[80] ... فأمروا بإجابة داعي الله، الذي هو الرسول، والإجابة والاستجابة هي طاعة الأمر والنهي، وهي العبادة التي خلق لها الثقلان، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[81]..

وقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[82].. وأخبر أنه يملؤها منه ومن أتباعه وهذا يبين أنه لا يدخلها إلا من اتبعه، فعلم أنّ من يدخلها من الكفار والفساق من أتباع إبليس، ومعلوم أن الكفار ليسوا بمؤمنين، ولا عارفين الله معرفة يكونون بها مؤمنين. ولكن اللام لبيان الجملة الشرعية، المتعلقة بالإرادة الشرعية، كما في قوله تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[83].. وقوله تعالى: - يريد الله ليبين لكم .... وقد تكون لبيان العاقبة الكونية كما في قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [84].. وهذا كقوله تعالى : ﴿ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾[85]. أي خلق قوما للاختلاف، وقوما للرحمة، وقال: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ [86].. فاللام في قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[87].. وإن كانت هي اللام في هذه الآية فإن مدلولها لام إرادة الفاعل ومقصوده، ولهذا تنقسم في كتاب الله إلى إرادة دينية، وإرادة كونية، كما تنقسم في كتاب الله تعالى الكلمات، والأمر والحكم والقضاء والتحريم والإذن، وغير ذلك.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد واله الطيبن الطاهرين.

الهوامش

[1] عالم الجن والملائكة : ١٣.

[2] آدم : 134-137 فقرات مختارة.

[3] سورة الرحمن:14-15.

[4] سورة الصافات:97-98.

[5] سورة الانبياء:69.

[6] سورة الجن:6.

(7) سورة الرحمن:7.
(8) سورة الكهف:50.
(9) سورة الحجر:26-27.
(10) سورة النمل:38-39.
(11) سورة النمل:16.
(12) سورة ص:39.
(13) سورة الجن:8-9.
(14) سورة الحن:1-2.
(15) سورة الاحقاف:29-30.
(16) الجامع لأحكام القرآن الكريم:4، 205.
(17) سورة الصافات:6-10.
(18) سورة الجن:26-27.
(19) سورة الذاريات:56.
(20) سورة الانعام:13.
(21) سورة الرحمن:33.
(22) سورة الجن:11-15.
(23) سورة ص:82-83.
(24) سورة الكهف: ٥٠.
(25) سورة الرحمن: 15.
(26) سورة الحجر: ٢٧.
(27) معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم:٢٦٧ - ٢٦٨.
(28) سورة الذاريات:56.
(29) سورة الصافات: 65.
(30) سورة النور:12.
(31) لسان العرب: ٤٨٢،٧.
(32) الميزان في تفسير القرآن: ٧، ٣٢١.
(33) سورة الاعراف: ٢٧.
(34) الميزان في تفسير القرآن: ٢٠، ٣٩٧.
(35) سورة فاطر: ٥.
(36) لسان العرب: ٤، ١٤٧ – ١٤٨.
(37) في ظلال الصحيفة السجادية: ١٦٤.
(38) معاني الأخبار:١٣٩.
(39) سورة الكهف:50.
(40) سورة الذاريات: 56.
(41) سورة الجن: ١١.
(42) سورة الجن: ١٤.
(43) مجمع البيان:10،5.
(44) سورة الجن: ٤.
(45) مجمع البيان:١٠، ٥٥٥.
(46) سورة البقرة: ٣٤.
(47) مجمع البيان:4، ١٩١.
(48) سورة النساء 118-120.
(49) سورة الاعراف:16.
(50) سورة النور :21.
(51) سورة البقرة:169.
(52) عالم الجن والملائكة: ٤٧-٤٦.
(53) سورة المائدة:61.
(54) سورة الإسراء: 62-63.
(55) سورة المجادلة:18-19.
(56) سورة الفرقان :27-29.
(57) سورة الصافات:6-10.
(58) سورة الشعراء:210-212.
(59) سورة الحشر:22.
(60) تفسير القرآن العظيم:7، 349.
(61) تفسير من هدى القرآن: 17، 232.
(62) سورة سبأ:14.
(63) سورة الجن:26-27.
(64) سورة الاسراء:62-64.
(65) في ظلال القرآن:343.
(66) سورة الحجر:41-42.
(67) سورة ابراهيم:22.
(68) سورة ق:10.
(69) سورة ق:28-29.
(70) سورة ق:27.
(71) الصافات: 149 – 159.
(72) مجمع البيان: 4، 262.
(73) تيسير التفسير:2، 392.
(74) سورة الأنعام : ١٢٨-129 0
(75) تفسير القرآن الكريم: 5 ،194.
(76) سورة الأنعام : 130.
(77) سورة الأحقاف : ٢٩ – ٣٠.
(78) سورة الأنفال : 48.
(79) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد:2، 284.
(80) سورة الأحقاف : ٣٢.
(81) سورة الذاريات : 56.
(82) سورة ص : ٨٥.

(83) سورة البقرة : 185.

(84) سورة النساء : ٢٦

(85) سورة هود: 118-119.

(86) سورة هود : ١١٨ – ١١٩

(87) سورة الأعراف : 179.

المصادر

خير ما نفتتح به القرآن الكريم

- الخولي، نجا أبراهيم، آدم عليه السلام، الطبعة الثانية عام1960م ، الناشر مكتبة وهبة في القاهرة.
- القرشي، عماد االدين اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، طبعة دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي.
- عبد الرزاق، نوفل، عالم الجن والملائكة، الطبعة الثانية عام1973م ، الناشر دار الكتاب العربي في بيروت.
- مغنية، محمد جواد، في ظلال الصحيفة السجادية، دار المعارف ،الطبعة الثانية ،بيروت، لبنان.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ابن،630-711هـ ، مؤسسة التريخ العربين الطبعة الثالثة 1413هـ، بيروت -لبنان.
- الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الاولى 1406هـ، دار المعارف - بيروت.
- الصدوق، ابي جعفر محمد بن علي بن بابوبه القمي، معاني الاخبار، تحقيق علي اكبر غفاري - بيروت، دار المعرفة1399 هـ. ق.
- الراغب الاصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، معجم مفردات الفاظ القرآن الكريم، طبعة قم - ايران.
- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، اسماعليان، الطبعة الخامسة، قم - ايران.
- سيد قطب، ابراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القران، دار الشروق بيروت -2019.
- الهيثمي، ابو الحسن نور الدين علي بن ابي بكر بن سلمان، مجمع الزائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي- القاهرة ،1994م-1414هـ.
- القطان، ابراهيم بن ياسين، تيسير التفسير، ط1، دار العلم، عمان، 1982.
- المدرسي، السيد محمد تقي، تفسير من هدي القرآن الكريم، دار القارئ- بيروت، ط2 ، 1409هـ.
- القرطبي أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن الكريم، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2 ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.